



المُخَصَّص

مُعْجَمٌ يَهْتَمُّ بِجَمْعِ الْأَلْفَاظِ وَتَرْتِيبِهَا حَسَبَ مَوَاضِعِهَا

يُعَدُّ «المُخَصَّصُ» أَحَدَ أَهَمِّ أَعْمَالِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، اللُّغَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُرْسِيِّ (نَسَبَهُ إِلَى مُرْسِيَّةٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ) الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سَيِّدِهِ. إِمَامُ اللُّغَةِ وَأَدَابِهَا، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِذَكَائِهِ الْمَثَلُ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي اسْمِ أَبِيهِ، فَقَالَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي «الصلّة» إِنَّهُ إِسْمَاعِيلُ، وَقَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ فِي «مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ» إِنَّهُ أَحْمَدُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَالَ الْحَمِيدِيُّ، كَمَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ». وَأَبُوهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَى الْأَشْهَرِ، مَعَ أَنَّ اسْمَ «ابْنِ سَيِّدِهِ» قَدْ غَلَبَ عَلَى أَبِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَصَادِرُ وَكُتُبُ التَّرَاجِمِ لَمْ تَذْكَرْ سَبَبَ ذَلِكَ.

وُلِدَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي مُرْسِيَّةٍ، وَنُسِبَ إِلَيْهَا، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ تَدْمِيرَ فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةً مِنَ الْهَجْرَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ -رَحِمَهُ



اللَّهُ - سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةً مِنَ الْهَجْرَةِ. اسْتَطَاعَ ابْنُ سَيِّدِهِ أَنْ يُلِمَّ بِعُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيَنْبَغَ فِي آدَابِهَا وَمُفْرَدَاتِهَا، فَكَانَ -كَمَا قَالَ الْحَمِيدِيُّ- إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ حَافِظًا لِلُّغَةِ، وَلَهُ فِي الشُّعْرِ حَظٌّ وَتَصَرُّفٌ، وَقَدْ وَصَفَهُ الْقَاضِي الْجَيَّانِيُّ (ت ٤٨٦هـ) فَقَالَ: «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِهِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَشْعَارِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِعُلُومِهَا، وَكَانَ حَافِظًا». هَذَا وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ سَيِّدِهِ لَمْ يَقْتَصِرْ فِي تَحْصِيلِهِ الْعُلُومَ وَتَأْلِيفِهِ فِيهَا عَلَى

عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحَدَّهَا، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ أَغْلَبِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ فَكَانَ أَيْضًا مُتَوَفِّرًا عَلَى عُلُومِ الْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ، تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ ذَائِعَةَ الصِّيتِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْقَاضِي الْجَيَّانِيُّ فِي ذَلِكَ: «كَانَ مَعَ إِتْقَانِهِ لِعِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ مُتَوَفِّرًا عَلَى عُلُومِ

الْحِكْمَةِ، وَأَلَّفَ فِيهَا تَأْلِيفَاتٍ كَثِيرَةً»، وَقَدْ وَصَفَهُ صَاعِدُ اللُّغَوِيِّ بِأَنَّهُ مِنْ حُدَاقِ الْمَنْطِقِ، وَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَاضِي شُهْبَةَ فِي طَبَقَاتِهِ: «وَمَنْ وَقَفَ عَلَى خُطْبَةِ كِتَابِ «المُحْكَمِ» عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَرْبَابِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، وَكَتَبَ خُطْبَةَ كِتَابِ فِي اللُّغَةِ إِنَّمَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ خُطْبَةً لِكِتَابِ الشِّفَاءِ لِابْنِ سِينَا».

وَيُعَدُّ «المُخَصَّصُ» لِابْنِ سَيِّدِهِ أَضْحَمَ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تُعْنَى بِجَمْعِ الْأَلْفَاظِ اللُّغَةِ وَتَرْتِيبِهَا حَسَبَ مَوَاضِعِهَا لَا تَبَعًا لِحُرُوفِهَا الْهَجَائِيَّةِ، فَلَمْ يَكُنِ الْغَرَضُ مِنْ تَأْلِيفِهِ جَمْعَ اللُّغَةِ وَاسْتِيعَابَ مُفْرَدَاتِهَا شَأْنُ الْمَعَاجِمِ الْأُخْرَى، وَإِنَّمَا كَانَ الْهَدَفُ هُوَ تَصْنِيفَ الْأَلْفَاظِ دَاخِلَ مَجْمُوعَاتٍ وَفَقَّ بِجَالَاتِهَا



الْمُتَشَابِهَةِ، فَتَنْضَوِي تَحْتَ مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ. وَقَدْ قَسَمَ ابْنُ سَيِّدِهِ كِتَابَهُ إِلَى أَقْسَامٍ كَبِيرَةٍ سَمَّاهَا كُتُبًا، يَتَنَاوَلُ كُلُّ مِنْهَا مَوْضُوعًا مُحَدَّدًا، وَرَتَّبَ هَذِهِ الْكُتُبَ تَرْتِيبًا مَنْطِقِيًّا، فَبَدَأَ بِالِإِنْسَانِ ثُمَّ الْحَيَوَانَ ثُمَّ الطَّبِيعَةَ فَالنبَاتِ، وَأَعْطَى كُلَّ كِتَابٍ عُنْوَانًا خَاصًّا بِهِ مِثْلَ كِتَابِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَالنِّسَاءِ، وَاللِّبَاسِ، وَالْأَطْعِمَةِ، وَالْأَمْرَاضِ، وَالسَّلَاحِ، وَالخَيْلِ، وَالِإِبِلِ، وَالغَنَمِ، وَالْوُحُوشِ، وَالسَّبَاعِ.

ثُمَّ قَسَمَ كُلَّ كِتَابٍ بِدَوْرِهِ إِلَى أَبْوَابٍ صَغِيرَةٍ حَسَبًا يَفْتَضِيهِ الْمَقَامُ إِمْعَانًا فِي الدَّقَّةِ وَمُبَالِغَةً فِي التَّقْصِي وَالْتَّبَعِ، فَيَذْكَرُ فِي بَابِ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ أَسْمَاءَ مَا يُخْرَجُ مَعَ الْوَلَدِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَذْكَرُ الرُّضَاعَ وَالْفِطَامَ وَالغِذَاءَ وَسَائِرَ ضُرُوبِ التَّرْبِيَةِ. وَيَتَحَدَّثُ عَنِ غِذَاءِ الْوَلَدِ وَأَسْمَاءِ أَوَّلِ وَلَدِ الرَّجُلِ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ أَسْمَاءِ وَلَدِ الرَّجُلِ فِي الشَّبَابِ وَالْكِبَرِ، وَهَكَذَا.

وَيَلْتَزِمُ فِي شَرْحِ الْأَلْفَاظِ بَيَانِ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُتَرَادِفَاتِ وَتَفْسِيرِهَا بِوُضُوحٍ مَعَ الْإِكْتِثَارِ مِنَ الشَّوَاهِدِ، وَذِكْرِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَقَى مِنْهُمْ مَادَّتَهُ.